



خصوصية المهاجر في روايات عمارة لخص (جدلية الماضي والحاضر) مقارنة
بنيوية في روايتي القاهرة الصغيرة وفتنة جراء خنزير ايطالي
*The privacy of the immigrant in Amara Lakhous's novels (the
dialectics of the past and the present)*
*A structural approach in the novels Little Cairo and Fitna by
an Italian Pig*

هدى بن جديد*، جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر). ev.h.bendjedid@univ-soukahrass.dz
السعيد بوسقطة، جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر). POUSSAKTASAIID@yahoo.fr

تاريخ المقال

النشر: 2025-03-10

القبول: 2024-06-07

الإرسال: 2024-02-05

الكلمات المفتاحية

الهجرة،
الهوية،
الماضي،
الحاضر،
البنية،

تسعى هذه الدراسة البحثية الى التعرف على الرواية الجزائرية المعاصرة والتي تراوحت بين نماذج مختلفة واقلام روائية شابة، أمكن لها ان توفق من دون تلفيق بين التيارين الاستهلاكي والفني، وقد عكس عمارة لخص في رواياته هذه التجربة الروائية الفريدة "إذ انعطف على الواقع الجزائري وهزاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون ان يهمل الهاجس الفني فجاءت اعماله متجددة في لغتها وتشكيلها واسلوبها، واختلقت خامات نسيجها مع تواصل التزام الروائي بقضايا وطنه فقد ركزت الدراسة على ابراز الهوية في روايتين القاهرة الصغيرة وفتنة جراء خنزير ايطالي من خلال مقارنة بنيوية مثلثها الهجرة كبنية كبرى سوقت لبنيات صغرى ابرزها جدلية الماضي والحاضر.

Abstract

This research study seeks to identify the contemporary Algerian novel, which ranged between different models and the pens of young novelists, who were able to reconcile without mixing the two currents of consumerism and art. Amara Lakhous reflected in his novels this unique novelistic experience, as he turned to the Algerian reality and its economic and political shocks. And social without neglecting the artistic obsession, his works were renewed in their language, composition and style, and the materials of their fabric differed with the continued commitment of the novelist to the issues of his homeland. The study focused on highlighting identity in the two novels Little Cairo and Sedition of an Italian Pig through a structural approach represented by immigration as a major structure that led to smaller structures, the most prominent of which is dialectic. Past and present

Keywords

Immigration
Identity
the past
the present
structure

1. مقدمة:

شهدت الرواية الجزائرية في التسعينيات تراكما كميا لافتا ساهم فيه ظهور جيل روائي جديد هو جيل الشباب الذي اقتحم الكتابة الروائية، وأراد أن يزاحم بنصوصه جيل السبعينات الذي غابت بعض رموزه وتراجع إنتاج بعضه الآخر، غير أن أغلب وجوه الجيل الجديد ظلت الطريق عندما أرادت الاستفادة من المحنة الجزائرية، وهذا ما دفع ببعض النقاد إلى عد المحنة سببا مباشرا في محنة كبرى للجنس الروائي في الجزائر.

إذ اكتفى كثير من الروائيين بالنقل التصويري لما عايشوه أو تلقوا نبأ حدوثه فانشغلوا بتسجيل جرائم الإرهاب، وسوداوية الواقع، وأهملوا بالمقابل الشكل الفني، والهيكل اللغوي للعمل الروائي، فأخفقت رواياتهم حين أغفلت اللب وانصهرت في الأزمة..

في مقابل تلك النصوص تظهر نصوص أخرى مناوئة، تكسر حاجز المحنة وترفض الإقامة الجبرية داخله، كما تدعو إلى نموذج روائي جديد منتعش همه الأساسي الابتعاد عن سطوة تلك المحن والاهتمام بهموم الفن وشعرية العمل الروائي.

وقد مثل عمارة لخصوص هذا النموذج الروائي من خلال جملة من الروايات التي تمحورت حول تيمات مختلفة، أبرزها الهجرة والهوية، ونظرا لسطوتها في الرواية فرضت علينا الإشكالية التالية: ماهي أبرز الثنائيات التي شكلت البنية الكبرى للهجرة؟

كيف سوق عمارة لخصوص للمهاجر في روايته؟ هل حافظ على هويته أم انصهر في الآخر؟

2. خصوصية الرواية عند عمارة لخصوص

شكل نسيج الرواية الجزائرية المعاصرة نخبة مختلفة من الأقسام الروائية وقد مثل جزئها حزمة المثقفين المهاجرين، الذين غادروا هربا برسائلهم وإبداعاتهم أمام هول المأساة (الإرهاب)، وهذا الواقع الفيسيولوجي المغاير هو الذي أنتج

نصوص مغايرة من حيث التيمة ومميزة من الناحية الجمالية والفنية.

ليثبت مجموعة منهم على غرار "عمارة لخصوص" أن الأدب إنساني قبل أن يكون محلي أو قومي، والذي يعد من الجزائريين الذين قدموا نماذج روائية معاصرة ومنفتحة على الآخر، ساهمت ثقافته وهجرته، في أن يقدم نموذج روائي منفرد. وقد كان لعمارة لخصوص رأيه حول الهجرة، ونظرته الخاصة للإنسان المهاجر، وذلك لحظة اتخاذه قرار الهجرة فيقول: «عندما يقرر شخص ما الهجرة، فإنه بذلك يكون قد وقع شهادة وفاة ثقافته الأصلية ليولد من جديد في ثقافة جديدة، وعليه أن يقتنص الفرصة، ويبدأ حياة جديدة يعوّض فيها ما فاتته من الحياة السابقة، بتعلم لغة جديدة ونمط حياة آخر غير الذي كان عليه.» (غانم، دت)

سنحاول من خلال هذه الدراسة التعرف على خصوصية المهاجر الذي استدعاه - عمارة لخصوص - في نموذجين "القاهرة الصغيرة" و"فتنة" جراء خنزير إيطالي" ليكشف لنا عن حساسية هويته التي تتجاذبها جناحان جدلية الماضي والحاضر؟

إن لهذه البنية حضور قوي وجلي حيث مثلت جزئها الأول قبل الهجرة والثاني [الحاضر] بعدها، وقد عكست مدى القلق والصراع الذي يفترس الأبطال حيث يكشف لنا "عمارة لخصوص" عن إشكالية هذه الثنائية، هل بإمكانها أن تشفى من الماضي وتغيّر صورته وسط ضجيج ومأساة الحاضر؟

البطل المهاجر يترك ماضيه، ويحاول التملص . ليحيا الحاضر الجديد. هنا تبرز لنا قيمة المغادرة الهجرة /بدافع التغيير، وقد ولدت هذه الثنائية نتيجة التحام ثنائيات أخرى كالسعادة والألم، الحرية والسجن، الحياة والموت.. وصولا إلى ثنائية النجاح والفقر.

ستحاول من خلال هذه الدراسة معالجة الإشكالات التالية:

01- ماهية الهجرة ودوافعها؟

02- كيف كان، وكيف أصبح المهاجر من خلال نموذج روايتين لعمارة الخوص "صوفيا" في القاهرة الصغيرة"، وسمير المغربي في رواية "فتنة جراء خنزير إيطالي".

3. المثقف المهاجر

1.3. الهجرة بين السفر والمنفى :

إنّ الحديث عن الهجرة، يضع المتلقي أمام عدة تساؤلات ما المقصود بالهجرة أهى السفر أم النفي، هل هي هجرة شرعية أو غير شرعية "حرقة"، ما أسباب الهجرة وما دوافعها؟، ومع تطوّر العصور والتكنولوجيا هل لا زال الشاب العربي بحاجة إلى أن يهجر بلاده؟.

للمكان سطوته... وأن تهاجر من مكان الولادة إلى مكان آخر لا يتقاطع معه فأنت بحاجة أولا إلى أن تنزفه في ذاكرتك جيّداً مثل المكان الأول، ثم تنتجه من جديد في كتابة جديدة. ثمة اليوم استعادة قوية لمفردة "هجر" في الأدب لأدباء الخارج بعدما طغى زمنا مفردات الاغتراب والنفي التي فرضتها ظروف أقرب أغلبها سياسي الطابع فالكلمة "مهاجر" "immigrant" هي اقرب لوصف وضع المثقف المقيم في الخارج وهي تميزه هي أيضا عن قرينه في الداخل لو فكرنا أن ثمة انفصال بينهما، ولربما نجد من يقول أيضا أن كلمة "اغتراب" أو "نفي" يعبران كلا الشخصين، الاغتراب الداخلي (الذاتي)، والاغتراب الخارجي (المكاني)، وكذلك نجد أن كلمة [مهاجر] لها دلالتها عن الأخرى في اختيارية الهجرة والعيش ضمن معطيات المكان الآخر، وظروفه مع الاحتفاظ بتراث أول، وثقافة أولى.» (النبهان، جوان 2008، صفحة 53)

كما أنّ الهجرة كانت تعني الانتقال بين الدول أو مراكز الإقامة للاستقرار في مناطق أخرى بعيدة أو قريبة من الوطن الأم.

2.3. ماهية المهاجر المغترب :

ويبقى كثير من الإطناب في تعريف المهاجر، هذه الكلمة على من نطلقها بالضبط، الذي غادر بلاده دون أن يعود، أم الذي يسافر طلب للعمل ويعود كلما سنحت الفرصة لبلده الأم هذه الأسئلة

هي التي جعلت الكثير ممن يهتم بالهجرة والمهاجر، ويحاول أن يضع تعريفا واضحا فقد عرف المؤتمر الدولي المنعقد في روما سنة 1924، المهاجر بأنه كل أجنبي يصل إلى بلد طلبا للعمل ويقصد الإقامة الدائمة... وهذا نقيض العامل الذي يصل إلى بلد للعمل فيه بصفة مؤقتة» (Jeacques Rager, 1950, p. 125) إذا توقفنا عند هذا التعريف، يصعب علينا إطلاق المهاجر على جل الناس الذين غادروا بلدانهم طلبا للرزق، وذلك أنه من خصائص هؤلاء، ألا يقيم مدة طويلة دون سفريات منتظمة إلى وطنه الأصلي، فهجرته مؤقتة.

ويبدو من تحقيق أجراه المكتب العالمي للشغل للتوصل إلى تعريف شرعي للمهاجر أن الأخير يختلف تعريفه من بلد لآخر باختلاف المعايير عند كل دولة.

«فالهجرة في نظر الدولة الألمانية هي مغادرة البلد والاستقرار خارجه بصفة مستمرة إن لم تكن نهائية، وتطلق دولة أستراليا كلمة مهاجر على كل من تغرب بصفة نهائية... وتتفق كل من الولايات المتحدة وكندا وفرنسا على أنّ المهاجر هو كل شخص يترك بلده بنية الإقامة الدائمة في الخارج... أما المهاجر في نظر اسبانيا وبلجيكا واليونان فهو الذي يركب الدرجة الثالثة عند سفره من بلده... وهناك دول كثيرة مثل سويسرا ترى أن الانتقال في مجال الدول الأوروبية الهجرة إلا إذا كان خارجها.

(Gonnard, 1927, pp. 19-20)

ويبدو من هذا أن أغلب الدول تتفق على ضرورة توفر عاملين في المهاجر البلد المهاجر ان يهاجر الإنسان بلاده نهائيا، وأن يُقيم في البلد المهاجر إليه ليعيش ويعمل والعاملان المذكوران هما المميزان للمهاجر عن أشباهه: كالمسافر والرحالة، والسائح، ومن ثمة فإن أبرز ما يميّز المهاجر عن أشباهه هو قصده من السفر، أو حالته النفسية وقت السفر، فالعامل المميز إذن هو عامل نفساني بالدرجة الأولى.» (زوزو، 2010، صفحة 12)

3.3. المهاجر المثقف :

استقر فيها منذ 1995م. ولم تكن هجرته إليها وليدة الصدفة، بل كانت لظروف صعبة [العشرية السوداء].

4.3. المهاجر بين توقيع شهادة وفاته وفرصة ميلاده من جديد:

مثلت هجرة عمارة الخوص إلى إيطاليا عامل تحفيزي للانطلاق وعيش حياة جديدة وتحقيق نفس ثقافي مختلف، الاكتفاء بالتعرف على الآخر بل محاولة الامتزاج به ومعايشة ظروفه، ويضيف الكاتب الجزائري في نفس السياق قائلاً: «إن حسابات الزمن لدى الإنسان في الحياة الجديدة تختلف عن سابقتها، حيث أنه يمكن للمهاجر فيها أن يتعلم في عام واحد بمعدل ما كان يحصل عليه في تعليمه خلال عشرة أعوام قبل الهجرة ويكمل حديثه بأن الهوية الجديدة لا يمكن لها أن تكتمل إلا بالاعتماد على العلاقة مع الآخر حيث يتحقق التواصل الذي يحدث عنه التوازن في العلاقات.» (غانم، دت)

هنا تبرز لنا بوضوح إشكالية الهوية بالنسبة للمهاجر المثقف فيصبح المهاجر أمام خيارين اثنين: الاندماج أي التخلي عن الهوية الأصلية، أو العزلة؟.

«إن المهم لتحديد هوية جماعة ليس جرد كل سماتها الثقافية، وإنما التعرف على ما تستخدمه تلك الجماعة من سمات لإبراز التمايز وبالتالي فإن الهوية ليست جبلة أو معطى أوليا ونهائي، بل إنها حالة بناء دائم ينبغي دراستها من خلال الوضعيات الكثيرة التي يكون فيها الأفراد والجماعات ونوعية العلاقات الموجودة بينها . وفي كل تلك الوضعيات وما يحدث داخلها من علاقات يقوم شعور الانتماء (identification) بوظيفة هامة تأكيد الهوية أو رسم حدودها.» (العربي ولد خليفة، 2003، صفحة 112)

ومنه فالهوية ارتكاز على المجتمع فهو الذي يرسمها ويحدد معالمها وبالخروج منه تبرز إشكالية الهوية جلية خاصة مع هؤلاء الأشخاص الذين لا يقبلون الاختلاط أو التمازج وعليه فقابلية الانفتاح على الآخر تولد علاقات لينة تحفظ الهوية وتبرزها، يقول عمارة لخص: «مشكلة الهوية

يمثل المهاجرين أقلية والمشتغلين منهم في الشأن الثقافي أقلية الأقلية، إلا أن الأقلية دوماً وعلى مر التاريخ والتجارب هي الفاعلة بشكل رئيسي في إعادة الروح للتراث من خلال الأنشطة القليلة المهمة في أن. والتي تحافظ على إعطاء معنى للحياة. ذلك أن غياب التعبير والنشر تعني موت الأدب.

ونجد أن المثقف العربي في المهجر شبه معزول لأنه بعيد عن واقعه الأصلي، فالظرف المكاني هنا له دور أساسي في هذه العزلة. كذلك التعامل الواقعي اليومي يفرض حالة خاصة ونادرة. "فالتراث هو في تقاطع محورين مهمين: الأول مكاني والثاني زمني على حد تعبير أوكتايفو باث المكاني هو تنوع الناس في تواصل مستمر يُغني التراث ويضخه بدماء جديدة وعيون جديدة . « (النبهان، جوان 2008، صفحة 151)

من هنا تأتي الحاجة إلى من يكون مؤسسة ثقافية غايتها خلق المناخ الثقافي الصحي، والملائم حتى يفتح جسرا للتواصل بين الأدباء، وتبتكر الأنشطة القادرة على فك هذه العزلة الشديدة، وتسليط الضوء على الآخر المهاجر الذي يكون أدبا مهجريا بامتياز وجعله في متناول القارئ والباحث المهتم بدراسة الأدب، لأن بعيونه يكون قادراً على إضاءة أمور تتخفى على من يعيش داخل البلد. بإمكانه محاوره ثقافتين الأولى معاشة، والثانية جديدة، ليشكل هذا الركن من الأدب القادم من خصوصية مكانية وظرفية خاصة، وهو نشاط ثقافي بإمكانه أن يخلق جو أدبي مفقود هنا، ويستطيع أن يفتح

قنوات بين المثقفين العرب فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين الآخر من جهة أخرى. كذلك نشر النتاج المهجري والتعريف بالأدباء المهجريين، وتصدير هذا النتاج إلى الداخل وعالميا عن طريق الترجمة التي هي عنصر مهم في هذا النشاط والحراك الثقافي.

ومن الأدباء المعاصرين المهاجرين "عمارة لخص" الذي نهل من ثقافة المغرب العربي وانتقل ليتم دراسته في المهجر "إيطاليا" أين

عيش المواجهة المباشرة مع الغرب خوف الخسارة أو لما لصاحب الأرض من امتيازات.

مثلت شخصية "عيسى" إيطالي بتمثيل عربي تونسي أما اسمه الأصلي "كريستيان الإيطالي" وهو بطل "القاهرة الصغيرة" في إخراجها العربي، وبطل "طلاق على الطريقة الإسلامية" في حي ماركوني" في نسخته الإيطالية.

سنرى بنية الهجرة من خلال وجوه هاجرت إلى إيطاليا بدوافع مختلفة وصورها لنا عيسى عندما اندس بينهم [العرب والمسلمين] في حي ماركوني بروما لكشف عملية إرهابية مرتقبة وصلت أخبارها إلى الاستخبارات الإيطالية، ووقع الاختيار عليه لكفاءته اللغوية وقدرته على التحدث باللهجة التونسية بطلاقة، يباشر كريستيان مهمته السرية متقمصا شخصية "عيسى" التونسي ويتحول إلى شاب بشارب بارز يعمل غسالا للصحون ويقيم في بيت جماعي لا يملك فيه سوى الفراش الذي ينام فيه، يتقاطع مصيره مع مصير صوفيا الشابة المصرية المحببة التي تعيش مرحلة عصبية في حياتها، إذ تضع ثقافتها العربية والإسلامية تحت مجهر تجربتها مع البيئة الجديدة المختلفة لغويا، ودينيا وثقافيا، القاهرة الصغيرة هي كوميديا على الطريقة الإيطالية تتداخل فيها العديد من المتناقضات: الانفتاح والانغلاق، الجد والهزل، المعقول والعبيثي، الأمل واليأس، الحب والخوف. هذه الأخيرة التي أدرجها الروائي عمارة لخص كعراب لروايته حينما خصص لها الواجهة أو العتبة الأولى:

« Dal momento che l'amore e la paura possono difficilmente coesistere, se dobbiamo, scegliere fra uno dei due, é molto piú sicuro essers tenuti che amati »

«لما كان الحب والخوف لا يتعايشان إلا بصعوبة، إذا كنا لنخير بينهما، فمن الأسلم أن نكون من المهابين لا من المحبوبين.» (لخص، 2010، صفحة 7) نيكولو ميكيا فيلي

(Niccolo Machiavelfi 1527 – 1969)

استهل عمارة لخص روايته ضدية مثلت إلى حد بعيد العالم المتناقض الذي يعيشه أبطاله،

عشتها شخصيا كمهاجر ثم درستها وتعمقت فيها فيما بعد. أعتقد أن الهوية مشروع مفتوح رغم أننا نتصور أنها سجن قضبان لغوية أو دينية أو غير ذلك، لكن الحقيقة مختلفة، فحين تعيش في مجتمع غير مجتمعك، سيكون هناك تفاعل في الواقع الجديد، تبادل أخذ وعطاء، إذا تعرّفت على أشخاص من ثقافات أخرى فسيؤثرون فيك، وتؤثر فيهم حتى وإن كانت النتائج غير مرئية فأنك ستكتشف تغير أشياء كثيرة فيك مع مرور الوقت. وإذا اكتسبت لغة جديدة فإن هويتك ستختلف، لأن اللغة ليست فقط أداة بل رؤية للعالم...» (علاوة، 2019)

وهنا بعد آراء عمارة لخص نستطيع الجزم أن هذا المهاجر المثقف يختلف عن غيره من المهاجرين طلبا للعيش أو خوفا من الحرب أو حتى هربا من السلطة والرقابة فهذا الكاتب اختلف عن غيره ممن يولعون بالآخر المتطور والذي يسكنه الشرقي إحساسا منه بدونية موروثه هذه الفكرة التي تتنامى خاصة أمام زحف الغرب الذي ظل موطن الأسرار والجبروت.

4. أدب الهجرة ثنائية الانبهار والصدمة:

منذ قراءة روايات "عمارة الخوص" خاصة الحديثة منها تجلت لنا بنية الهجرة | بنوعيتها الشرعية وغير الشرعية، واختلفت أسبابها وظروفها ودوافعها.

وبالعودة إلى "أدب الهجرة" نلاحظ أنها ظاهرة أفرزت أعمالا ثرية، وكان الأدباء العرب في منتصف القرن الماضي يركزون على تجارتهم الخاصة في الغرب، وقد بدأ مفهوم "الهجرة" في الأدب المعاصر أكثر ثراء وحيوية خاصة عندما يعود المهاجر ثريا (غنى أدبي) ليوثق أحلام الشباب هناك، وهناك العائدين من بلد الهجرة وهم لا يفلحون في الاندماج مع مجتمعهم الأصلي.

و تتجلى هذه الفكرة بدرجة واضحة في تصوير عمارة لخص لشخصيات "قاهرته الصغيرة" التي جمعت ثلة من المختلفين المهاجرين مغاربة ومشاركة، عرب ومسلمون، مثل كلّ منهم دوره بإخلاص ولم يتسنى للبعض

الآخرون فيحكم عليهم بالفشل. أخشى ما يخشاه المهاجر أن يعدّ من الفاشلين! يحب أن يصير غنيا بقطع النظر على الظروف القاسية التي يعيش فيها. كيف؟ لا تهم الكيفية، بل النتائج.» (لخوص، 2010، صفحة 56)

وهذا النموذج للمهاجرين كان محل اهتمام النخب الأدبية والإبداعية لرسم الحظ الذي يرصد التحول بين الانبهار والصدمة.

الانبهار بالغرب ← الهجرة ← سوء الواقع [الصدمة]

وعلى الرغم من معاناة أولية تمثلت في الفراق [أهل، وطن...] إلا أن المعاناة الثانية أشد وأصعب ألم الغربة. «حيث لم تكن الهجرات تخلو من جراح الحكايات والشعر المليء بعذابات الهجرة وألم الفراق...» (لخوص، 2010، صفحة 19)

5. ثنائية الشمال والجنوب:

ننتقل لنرى وجه جديد للصورة الرابطة بين الشرق والغرب في رواية

« Querelle autour d'un petit cochon italianissime à san salario »

الرواية شكلت نموذج جديد يقوم على صور مختلفة لمهاجرين من جنسيات مختلفة استقروا في إيطاليا في تورينو. لكلّ منهم بلده ومعتقداته أتى قاصداً الجنة المنتظرة، تمثله بوضوح قصة سمير المغربي القادم من طنجة: «خلال طفولته تُولد لديه إحساس قوي بالظلم لما يعيشه. قال: "يا إلهي لماذا تجعلني ولدت أربع عشر كيلومترا شمال مدينتي؟..."» (Lakhous, 2014, p. 62)

هذا الذي يعيشه الشاب قبل المغادرة فهو يرى في الآخر حياة وفي بلده موت وضياع.

تجلت هذه الثنائية في نموذج آخر مثلته إيطاليا بمقاطعاتها، فالتحيز أو العنصرية هو الذي وُلد هذه الثنائية، الشمال والجنوب. «الناس مثل بيليزا لا تتذكر أو لا تريد أن تذكر، حينما تم ذلك الاستقبال الرهيب للجنوب في المدن الشمالية مثل ميلانو وتورينو...» (Lakhous, 2014, p. 61)

إيطاليا البلد المتقدم لم تستطع التخلص من فكرة العنصرية والتمييز وبالرغم من أنها بلد

خاصة المهاجرين الذين اضطروا إلى الاستقرار في إيطاليا كل منهم حمل وطنه داخل صدره «في حقيقة الأمر لم أكن سعيدة بالزواج بحد ذاته، إنما بفكرة السفر للعيش في إيطاليا بوصفها قبلة الموضة...كنت متيقنة من النجاح في إيطاليا...» (لخوص، 2010، صفحة 37)

وهنا تتجلى فكرة الانبهار بالغرب [الآخر]، على اعتبار أنه يمثل التطور والنجاح، والسبب في الهجرة الهوس الذي يعيشه العربي وكرهه لما يحياه في بلده، وحرصه على تقليد الآخر وعيش التجربة الجديدة.

هنا الهجرة مجرد فكرة أو أمل لتحقيق بعدها، ومهما كانت صعوبات التجربة فشلها أو نجاحها إلا أنه من الضروري التظاهر بالنجاح: «عندما يعود المهاجر إلى بلده لقضاء العطلة، يتملكه هاجس إثبات نجاحه أمام أعين الجميع. فهو مجبر على تقمص دور الغني.. إذا سألك أحد "كيف هي المعيشة في الغرب في أوروبا، في إيطاليا؟" تذكر أن الإجابة الصحيحة هي: "جنة على الأرض!"...» (لخوص، 2010، صفحة 54)

تحوّلت صوفيا هنا من الشريحة والشباب المنبهر بالغرب وبعده الحضاري، إلى ممثل عن فعالية وجود هذا الرخاء وبذل مجهود لإثبات صحة المتوقع، بالرغم من أن الواقع يجسد العكس، إنها لحظة الصدمة، تتأتى بعد أن تصدمه الحضارة الجديدة بمعطياتها وثقافتها وتاريخها ومظاهرها الخارجية التي لا تستطيع أن يغوص فيها من الداخل إلا بعد أن عايشها، فقبلا لا يعرف منها إلا المظاهر الشكلية الخادعة والمغرية، التي أسقطته في حبالها، فتقيم الرؤى والحقائق والأشياء من منظوره، وتصدمه بقسوة، مما يفقده التوازن ويخسر نفسه، لأنه لم يكن يرى إلا المظاهر الشكلية ولا تجد هذه الشريحة في النهاية إلا الحسرة والندم. «يفضل العديد من المصريين تأجيل عودتهم إلى أرض الوطن لتجنب المتاعب والديون ما أقسى قول الحقيقة. يحبذ المهاجرون الكذب على أهاليهم عندما يعانون من محنة البطالة، أو من الاستغلال في أماكن العمل...لأنهم يخشون أن لا يتعاطف معهم

غير الشرعيين خاصة من الشباب الهارب من التخلف والطامح للعمل في بلد متطور احتضنتهم بلدان الجنوب الإيطالي واستغلّتهم في الأعمال الشاقة» مئات من الشباب الأفارقة والآسيويين والأوروبيين الشرقيين. تنهال مثل الفئران في الثكنات. وتستعبد في الحقول كما تم مراقبتها من قبل عريف بلا رحمة. ساد البؤس في كل مكان... (Lakhous, 2014, p. 63)

الهجرة من أجل العمل الرزق، المال هي التي حفزت على بروز هذه الثنائية [شمال + جنوب] بوضوح في روايات عمارة لخص، وهي التي جعلتهم يهربون من بلاد عرفت نصف حياتهم لينهون النصف الآخر في محيط وبلد جديد والذي شكّل بذلك ثنائية جديدة خلفتها الهجرة وستدفعنا للتساؤل حول كيفية تجلي هذه الجدلية الماضي والحاضر فالأنا يريد إثبات وجوده في موطن الآخر، فهل نجح أم لا؟

6. جدلية الماضي والحاضر :

إن العلاقة بين الماضي والحاضر – من منظور الشخصية مهددة بالانقطاع ليس السبب في هذا هو الهجرة أي البعد المكاني، تغيير موطن ومسرح الماضي بمكان جديد محاولة لخلق حاضر جديد، نستطيع أن نبعث الماضي من جديد لكن يصعب علينا التخلص منه.

1.6. القاهرة الصغيرة فرضية الماضي واختيار الحاضر

تلمح نظرة مأساوية للماضي في رواية "القاهرة الصغيرة" فأبرز شخصيات الرواية غادرت ماضيها مرغمة لتعيش تجربة الجديد في زمان جديد ومكان جديد (صوفيا، زوجها، أنيتا...).

ثنائية الماضي والحاضر ولدت نتيجة التحام ثنائيات أخرى كالسعادة والألم، الحرية والتقييد الحياة والسجن... وغيرها يمكننا تصوّرنا بدقة في حياة البطلة "صوفيا" أو "صفية" التي تركت بلدها وما فيها أملا في حاضر أحسن لتصدّم بواقع أسوأ بعد الهجرة "هناك ذكريات لا تمحي، كالوشم يحضرني مثلا اليوم الذي قصصت فيه شعر أختي نادية. كانت في . يكن لديها من المال

واحد لكن لا يزال هناك الكثير من التفرقة بالنسبة لهم الجنوب متخلف ومتأخر ويعيش على خيرات وعمل واجتهاد أهل الشمال. «نحن صوّرنا على أننا مخلفة الأميين، الأشخاص الخطيرين والجريمة تتشبه بنا جميع أنواعها. كان من الأفضل أن نبقي على مسافة آمنة. "نحن لا نؤجر الجنوبي" كان هذا شعار الاستقبال... أتذكر، أتذكر كلّ الضحك من الزملاء. عندما يذكر اسم *laganà* نعم شعرت بالخجل وأردت اسما مختلفا كالابريا. ولكن الشمال. الشمال. الشمال ممكن... أتذكر الأسئلة التي طلبت مني عندما كنت صغيراً: "صحيح أنكم تزرعون الرياح في الحوض؟" أو "لماذا أنت كسول؟". الكثير من الاحتقار والإذلال.» (Lakhous, 2014, p. 61)

الإيطالي يرفض الجنوبي مهما كان موطنه حتى ولو كان من دولة إيطالية فكرة التمييز بين الشمال والجنوب خلقت لتمثل الصراع القادم بين المنتج والمستهلك أو بين المتطور والمتخلف وصعب جداً تجاوز هذه التفرقة أو العنصرية. «...كنا نظن أنه من الأفضل لإخفاء الفرق وضعه تحت البساط. في صفحة حتى دون قراءتها. وأتساءل: قبول التكامل مجانا، دون احترام. دون فهم. بلا ذاكرة. هل من الممكن؟.» (Lakhous, 2014, p. 61)

التساؤل الذي يطرحه الروائي على لسان أحد شخصوه انزو الصحفي في موضعه هل يمكن تجاوز أو نسيان ما مرّ من تميز والاستعداد لفتح صفحة جديدة، صعب جداً خاصة أنه يواجه الآخر صاحب الأرض الذي يكون قد نشأ ورضع هذه العنصرية من والديه.

كان الشمال المتقدم في الرواية قد مثلته إيطاليا في وجهها العام، وتورينو بوجهها الخاص: «اليوم يتفق جميعا على أن تورينو تخرع نماذج جديدة. وتعتمد على السياحة والثقافة. ننفق الكثير من المال...» (Lakhous, 2014, p. 148) بينما الجنوب: فقد مثلته مدن الجنوب الإيطالي نابولي وغيرها، كما مثلته بصورة أدق المدن التي تصدر الهجرة على اختلاف طرقها [شرعية وغير شرعية]: فقد كانت مركزا للعديد من المهاجرين

المتطوّر، والذي قبلنا لن نجد من يخبره الحقيقة عن مأساوية هذه التجربة «أرجوك يا عزيزي المهاجر لا توقظ المساكين الحالمين من أحلام اليقظة. لا تشك حالك وللذين بقوا في البلد وهم يتحرقون شوقاً للمغادرة جهنم والالتحاق، هناك حدود لا يمكن تخطيها، يجب احترام المشاعر والأحاسيس لمن ينتظر فرصته للهجرة واضح؟» (لخوص، 2010، صفحة 56)

إن ضرورة القول بوجود الجنة الموعودة ممكن، وسرد التجارب التي تبطل ذلك ممنوعة، لكل منا الحق في التجربة، والتكتم على مجرياتها ضرورة قصوى. ودائماً لاتهم الكيفية بل النتائج وتتواصل المعاناة مع العرب هذا الشهي. هذا الملعون، وهي كلها دلالات عن محاولة الاتصال بالآخر [الغرب]. و[فشل المحاولة يؤدي بالضرورة إلى أهمية العودة للأصل الأنا] وصعوبة عيشها هو الذي يولد هذا التآرجح الذي يحياه المهاجر بين محورين [الأنا والآخر لا هو يتصل بالآخر فيرتاح ولا هو يعود للأصل فيستقر، وهي معادلة صعبة الحل بالنسبة للمهاجرين.

حاول "عمارة الخوص" أن يعطي كاميرا لشخصه حتى يصوّر، الغرب، وليكتشف الآخر ويصفه، فينطلق من رغبة الأنا الهجرة إلى الآخر ثم الصدمة من مواجهته «و هذه الرغبة ليست حدثاً فردياً بل هي سؤال المرحلة العربي والإسلامي والإنساني الذي البثق من لحظة الاصطدام بالقوة الاستعمارية لأوروبا، وتبلور الوعي بالذات فنشأت ثقافة مصطنعة في ذاتها تجاه الغرب بين الإعجاب به والخوف منه والانجذاب إليه والنفور منه . . » (زياد، 2012، صفحة 45)

2.6. الماضي والحاضر من منظور رواية "فتنة جراء خنزير إيطالي":

شكلت ثنائية الماضي والحاضر محوراً هاماً في هذه الرواية، فقد ركز "عمارة" الخوص بدرجة كبيرة عن الحياة الجديدة لهؤلاء المهاجرين مع سرد دائم لما عايشوه قديماً في بلدهم، فمثلاً لدينا سمير "المغربي الذي هاجر إلى إيطاليا في

ما تدفعه للكوافيرة ... أولتني ثقتها وحسنا فعلت فلم أخيب رجاءها، وفقتي ربنا في مساعي. كانت التسريحة رائعة بشهادة الجميع. منذ ذلك اليوم صرت الكوافيرة السرية لفقيرات الحي...". (لخوص، 2010، صفحة 34)

هنا تتولد ثنائية صعبة جمعت بين النجاح والفقر، فلم يكن هم صوفيا المال بل النجاح وهي على رغم الفقر والحاجة في ماضيها، إلا أنها غدت ناجحة وذات طعم السعادة بالتفوق في عملها وترجمة طموحها.

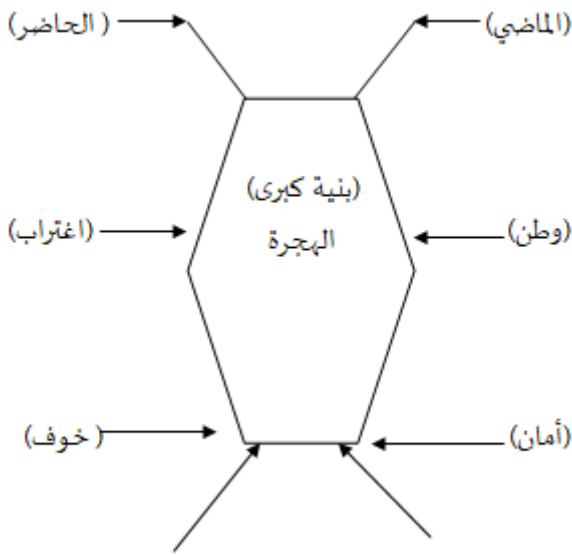
و كان الماضي جميلاً بالنسبة لصوفيا التي ظلت طيلة صفحات الرواية تتغنى به وتهفو نفسها لعطره الذي يهب بين الفينة والأخرى.

«شيئا فشيئا بدأت أقتنع أن المكان المناسب لتنفيذ حلمي هو باريس أو لندن أو روما أو مدريد أو نيويورك (لخوص، 2010، صفحة 34).

فكرة الهجرة بدأت لتحقيق الحلم فالآخر هو المتطوّر، وهنا نلمح دائماً الانتصار الذي يولد قبل المواجهة أي قبل الهجرة: «كنت أتخيل نفسي كوافيرة من الطراز العالي أو العمل مع مشاهير مصممي الأزياء... كنت متيقنة من النجاح في إيطاليا (لخوص، 2010، صفحة 34)

الجنة الموعودة إيطاليا مثلاً حلمت بطلاة الرواية صوفيا والتي تركت أهلها وبلدها، وماضيها لتخط حاضراً لا يمكن أن يكون إلا ناجحاً سعيداً لفكرة الانبهار والتلهف التي صاغت البطلاة منذ نعومة أظافرهما الواقع الحاضر يتجسد بعدها في ثنائية الطموح والخيبة، أو اللهفة والصدمة عاصمة الموضة كما أسمتها لم تستقبلها بالنجاح الموعود: «بعد إقامة وجيزة في بلد اسمه الجنة، يمكنك أن تذهب إلى البنك لاستلاف ما تحتاجه من مبالغ تستطيع أن تشتري كل ما طاب لك. سيارة فيراري، وفيلا مظلة على بحيرة غاردا الرائعة وزوجة جديدة ومطبعة (لخوص، 2010، صفحة 35)

أحلام يسوقها المهاجر قبل الالتحاق بالبلد المستضيف لأن بلده لا يمكنه أن يحقق له ما يطمح فيحاول جاهداً الوصول والالتحاق بالآخر



7. خاتمة

في الختام يمكننا أن نستخلص مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي :

— بنية الماضي والحاضر ثنائية كانت منفصلة ليس فقط زمانيا بل مكانيا بداعي الهجرة.
— الماضي غالبا في البلد "الأم"، وحتى الحاضر في البلد "الجنة".

— كشفت شخصيتا صوفيا وسمير المغربي عن جزء هام من الحقيقة و هي المغادرة بدافع الخيبة + الأمل، ليصدم بنفس الثنائية مع اختلاف الترتيب أمل + خيبة.

— ساهمت في بناء البنية الدالة (الهجرة) ثنائيات أخرى (وطن واغتراب) و(أمان وخوف).

8- المصادر والمراجع:

1. الحاج علاوة. (16, 01, 2019). حوار مع الروائي الجزائري عمارة لخص نشر في طنجة الأدبية. تم الاسترداد من

<http://www.maghress.com/adabia/948>

2. صالح زياد. (2012). الرواية العربية و التنوير - قراءة في نماذج مختارة - (المجلد 1). بيروت- لبنان: دار الفارابي .

3. عبد الحميد زوزو. (2010). الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين | 1914 - 1939، نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر.

4. عمارة لخص. (2010). القاهرة الصغيرة. الجزائر : منشورات الاختلاف .

مرحلة الشباب كان دائما يحكي عن معاناة شعبه في بلده الأم - طنجة - المغرب ، فقد تدهورت حالته بعد المراهقة وعاش الفقر والحاجة وتمنى الحرية بعد ان ذاق مرارة الكبت والظلم في ريعان الشباب وكان هاجس السفر الى إيطاليا هو المنقذ والعيش فيها هو المنى فعمل على تحقيق حلمه خاصة اذا تذكر حياته وهو في بلده ماضيه السيء وطفولته الصعبة وشبابه الأصعب، قدومه إلى إيطاليا (هجرته) هي التي من شأنها تقديم حاضر ومستقبل أنجح. ... مزق الورقة في اليوم نفسه. لأنه ليس لديه نية للعودة إلى المغرب وقال لقد كان وصوله إلى إيطاليا أو أوروبا هو الجنة، وبعد الكثير من التضحيات قد فاز بالجنة. وقال يستحق البقاء فيها للأبد. (Lakhous, 2014, p. 62)

هذه الحياة "الجنة" التي تشكل حاضر ومستقبل سام (سمير) هي كانت جهنم والموت بالنسبة لغيره من المهاجرين الذين تركوا بلداهم ليضلوا ملاحقين من طرف الشرطة التي كانت سببا في مقتلهم. أتذكر فجأة نهاية حزينة قبل عامين لطيفة السديري، والمغربي صاحب 19 عام، الذي توفي عندما سقط من سقف مبنى في شارع برتولي وقالوا أيضا سبب موته هروبه من الشرطة. كانوا خائفين من ترحيلهم ...» (Lakhous, 2014, p. 28)

الأغلبية كانوا يعيشون حياة صعبة (ما ضيهم) جعلهم يقررون الذهاب (الهجرة) لأجل حاضر ومستقبل أحسن، فالماضي قبل الهجرة في البلد، الفقر، الجوع، المرض، الحاجة، ثم خيار الهجرة يحقق مستقبل زاهر.

يمكن رصد ثنائية الماضي والحاضر في تشكيل بنية كبرى هي الهجرة كما في المخطط التالي:

5. محمد العربي ولد خليفة. (2003). المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

6. محمد النيهان. (جوان 2008). الأدب المهجري الجديد - جذور. نموذج - الشباب العربي في المهجر (المجلد 1). عمان، الأردن: منتدى الفكر العربي.

7. هاني غانم. (دت). الروائي الجزائري عمارة لخصوص و تجربة التنقل بين الثقافات. تم الاسترداد من <http://archive.nusat.com>

8. Gonnard, R. (1927). Essai sur l'histoire de l'immigration. paris.

9. Jacques Rager, J. (1950). le musulmans algeriens en frances et dans les pays islamiques. paris.

10. Lakhous, A. (2014). Querelle Autour D'un petit cothon italianissime à san salvatio ;traduit par :. basz alger: elise gruau Editions.